ولم يعد الى مثل ذلك الا في عطلة عيد الميلاد اذ اهملت تدفئة الغرفة فلما عدت في نهايتها وجدته تالفاً . فعملت هذه المرة على حفظ الحرارة في الخزانة التي هو فيها حوالي العصر فبقي تالفاً نحو شهر ثم افاق وقت اعتدال الهواء . ثم عاد الى مثل ذلك بضع مرات فكان ينام اياماً ثم يعود الى الحركة ويأكل بنهمة . ويسهل ايقاظهُ باخذهِ على الكتف وتحريكهِ بعنف

وتبدأ يقظتهُ باسراع تنفسهِ ثم يتحرك تحركاً خفيفاً وبعد ذلك يفتح عينيهِ ويمشي قليلاً فتعود اليهِ قوتهُ وانتباههُ

لورد ستراثكونا

تاجر واداري ومصلح ومحسن . من الرجال الذين استعزَّت بهم الممالك الاوربية وارتفع شأنها . اسمهُ الاصلي دونلد الكسندر سمث ولد باسكتلندا سنة ١٨٢٠ من والدين ليسا على شيء من الثروة ولم يتدرس في مدرسة جامعة ولا في مدرسة عالية بل حصل بعض المبادىء البسيطة وانتظم في خدمة شركة خليج هدسن في الطرف الشمالي من اميركا الشمالية سنة ١٨٣٨ . وكانت هذه الشركة متسلطة على اكثر البلاد المسماة الآن كندا وكانت قفاراً شاسعة تزيد مساحتها على مساحة اوربا كلها وقد بثت فيها حصوناً او زرائب في اماكن مختلفة منها ليقيم فيها رجالها فيأتيهم الهنود والصيادون بفراء الحيوانات التي يصطادونها ويبدلونها بما يحتاجون اليهِ من المؤن ونحوها . ولم يكن عند الشركة جنود ولا شرطة لحفظ سطوتها وتأييد سلطتها بل كان اعتمادها على ما تعامل الهنود والصيادين بهِ من الانصاف وعلى ما هو راسخ في اذهان الهنود من انهم اذا اعتدوا على البيض حلَّ بهم العقاب الشديد اينما كانوا

الى تلك البلاد المترامية ذهب صاحب الترجمة وعمرهُ ثماني عشرة سنة فجعل مقرَّهُ اولاً في ساحل لبرادور في مكان يبعد عن مدينة مونتريال ٢٠٠ ميل تقطع بالمراكب على الجليد وبضع مئات من الاميال تقطع بالاحذية التي يسار بها على الجليد . فاقام هناك ١٣ سنة بعيداً عن العمران لا تصل اليهِ الاخبار من اهلهِ الاَّ مرةً كل سنة او سنتين وعملهُ ابتياع الفراء من الهنود مقايضة . وعانى في اول الامر ما لا يوصف من المشاق وشظف العيش ثم جعل يعلم الهنود زرع البطاطس وبعض الحبوب والبقول لكي يصلح احوالهم المعاشية

ونُقل بعد ذلك الى اماكن اخرى في الشمال الغربي من بلاد كندا فاقام فيها عشر

سنوات وارتقى رويداً رويداً في خدمة الشركة الى ان صار سنة ١٨٦٩ مديراً فاراد حينئذٍ ان تبيع بعض امتيازاتها لحكومة كندا فباعتها بثلثمئة الف جنيه لكن كانت نتيجة هذا البيع وبيلة فجاهر المشردة بالعصيان وجاهر معهم المخلاسيون . وأرسل صاحب الترجمة مع مئتين آخرين الى النصارة ليردوهم الى الطاعة بالملاينة وكانوا قد تغلبوا على الانكليز الذين عندهم واسروا منهم خمسين اسيراً وقتلوا زعيمهم ريل واحداً من الاسرى وعزم ان يقتل آخر لكن كان لصاحب الترجمة شأن كبير في تجنيبه هذا الزعيم فعفا عن الاسير لاجله . ولم يكن مع صاحب الترجمة ورفاقه جنود ولا اسلحة فجاؤا الى النصارة والملاطفة وساعدهم في ذلك اسقف كاثوليكي كان هناك فاخمدوا الثورة حتى اذا جاء القائد والي مجنود ووجد ان الثوار قد فاءوا الى السكينة

وقدرت حكومة كندا اعمال صاحب الترجمة قدرها فشكرته شكراً جزيلاً

وكانت الشركة بعد بيع امتيازاتها قد اقتصرت على التجارة فجعل صاحب الترجمة ينظم اعمالها التجارية وسنة ١٨٧٠ جعلت منيتوبا ولاية من ولايات كندا وانتخبت صاحب الترجمة نائباً عن عاصمتها في الجمعية التشريعية ثم جعل نائباً في مجلس النواب بكندا واعيد انتخابه مرة بعد اخرى الى ان عين سنة ١٨٩٦ مندوباً سامياً عن كندا في انكلترا

الا ان خدمته لكندا لم تحصر في ما تقدم بل فعل لتلك البلاد ما هو اعظم منه فانه هو السبب في نجاح سكة الحديد التي تخترقها من الشرق الى الغرب بعد ان اشرفت الشركة التي انشأتها على الافلاس . ولهذه السكة الشأن الاكبر في تعمير البلاد وتثمير خيراتها ولاجل هذه الخدمة الجليلة منح اولاً لقب سر ثم لقب لورد باسم لورد ستراثكونا ومونت رويل

هذا من حيث كونه تاجراً وادارياً ومصلحاً بقيت صفة اخرى تحلهُ المحل الارفع بين كرماء الارض وهو انفاقهُ الكثير المتوالي على المعاهد العلمية والخيرية فقد وهب جامعة مكجل في مونتريال اموالاً كثيرة ومنها ١٢٠٠٠٠ ريال لكلية دونلوا التي لتعليم النساء . ولما احتفل بيوبيل الملكة وهب هو ولورد مونت سفن مليون ريال لانشاء مستشفى في مدينة مونتريال على اسم الملكة فكتوريا واضاف اليها ٨٠٠٠٠٠ ريال سنة ١٨٩٦ لنفقات ذلك المستشفى . وكل الاعمال الخيرية التي عملت في مونتريال كان له اليد الطولى فيها

بقي من سيرته امرٌ له شأن كبير عند غير رجال العلم وهو انهُ لما نشبت حرب البوير جنّد على نفقته كتيبة فيها ٥٩٢ رجلاً بين جنود وضباط وجهزهم بكل ما يلزم لهم من الاسلحة

والمنيرة وبعث بهم الى جنوب افريقية وتولى الانفاق عليهم من ماله وقد قال الجنرال السر درفرس بفر انهم كانوا من اشجع الجنود واصبرهم على المكاره وقال لورد ملنر انهم لم يفقهم كتيبة من الكتائب التي حاربت في جنوب افريقية . ثم وهب خمسين الف جنيه لتعليم التلامذة في كندا اطلاق البتادق

هذا من حيث هباته ومبراته العمومية الجهارية اما مبراته الخصوصية والسرية فيقال انها كثيرة جداً

وخلاصة ما يقال فيه انهُ رجل عصامي صادفتهُ الفرص فاشتنها وجمع ثروةً طائلة وانفق منها بسخاء في خير الاعمال واشرفها وبقي الى ان ادركتهُ الوفاة دائباً على العمل قانعاً بالبسيط من العيش . خاطب في اخريات ايامهِ بعض الشبان فقال لهم ان مستقبلكم متوقف كلهُ تقريباً عليكم وهو كما تصيرونهُ . نعم اني لا انكر فائدة الفرص وانها تسنح للبعض اكثر مما تسنح للبعض الآخر ولكن ما اقلّ الذين لا تسنح لهم فرصة . فاذا سنحت لكم ولم تكونوا مستعدين للانتفاع بها فلومكم على انفسكم » وهو قول رجل حكيم عرك الدهر وحلب اشطرهُ

وقد توفيت زوجتهُ في العام الماضي ولم يرزق منها الاَّ ابنة واحدة اقترن بها السنر بلس هورد الجراح سنة ١٨٨٠ فترث لقب ابيها وتورثهُ الى اولادها من بعدها

وكانت وفاة لورد ستراثكونا في الحادي والعشرين من شهر يناير الماضي ودفن باحتفال عظيم

السر دافد جل الفلكي

العلماء يعمرون طويلاً فيقضي الشتاء على كثير من شيوخهم . ومن اشهر الذين توفوا منهم هذا الشتاء السر دافد جل الفلكي الكبير الذي كان مديراً لرصد راس الرجاء الصالح في جنوب افريقية سنين كثيرة

ولد في الثاني عشر من يناير سنة ١٨٤٣ ومال الى العلوم الرياضية والطبيعية من صباهُ ولاسيما لما درس في جامعة ابردين على كلارك مكسول الطبيعي الشهير . ورغب في الاضطلاع للعلم ولكن ابوهُ كان تاجراً في مدينة ابردين مضطراً في تجارتهِ ورود ان يخلفهُ ابنهُ فيها فاجاب ابناهُ الى طلبهِ مكرهاً وجعل يقضي ساعات الفراغ في درس المواضيع الطبيعية والكيماوية

وخطر لهُ سنة ١٨٦٣ ان مدينة ابردين في حاجة الى معرفة الاوقات بالدقة التامة كان